بين الكلمات والروائع: استكشاف أسلوبي لصور البلاغة في سورة القلم

Muhammad Alfa Choirul Murtadho[1], Muhammad Kesit Barnabila[2], Mohammad Anshori,[3] Dizhwar Aydeen Noor[4]
Sunan Ampel Islamic State Univeristy, Surabaya[1,2,3] Al-Azhar Cairo University, Egypt[3]
alfaamuhammad18@gmail.com,[1] barnabila01@gmail.com,[2]
mohammadanshori@uinsa.ac.id,[3] dizhwar3726@gmail.com[4]

Abstract: Al-Qur'an is recognized not only as a sacred scripture containing religious teachings but also as a literary masterpiece rich in linguistic beauty and artistic imagery. Its captivating style brings vivid and meaningful visual images to life, enabling divine messages to be conveyed in a deeper and more thought-provoking manner to its readers. This article delves into analyze the use of literary imagery in Surah Al-Qalam and its role in delivering religious messages effectively and aesthetically. Employing a qualitative approach, it conducts a descriptive analysis of the verses of Surah Al-Qalam through the lens of classical Arabic stylistics, focusing on five key imagery elements: tasybīh (simile), isti'ārah (metaphor), tashkhīṣ (personification), kināyah (irony), and majāz (metonymy). The findings reveal that these imagery devices are harmoniously employed to express complex meanings in a visual, imaginative, and communicative manner. Tashkhīṣ animates abstract concepts; tasybīh and isti'ārah enhance the visual representation of teachings; while kināyah and majāz deepen symbolic meaning and strengthen the rhetorical impact of the verses. In conclusion, the use of imagery in Surah Al-Qalam is not mere literary decoration but serves as a vital tool to clarify and reinforce the divine message.

Keywords: Imagery; Al-Qur'an; Surah Al-Qalam; Stylistic Analysis

مقدمة

في جميع أشكال التواصل، تُعد القدرة على نقل الأفكار والمعاني بوضوح وعمق أمرًا جوهريًا. ومن أبرز الوسائل لتحقيق ذلك التصويرُ الفني والإبداعُ اللفظي، إذ يسهمان في تسهيل الفهم وتجسيد الحقائق غير المادية والمفاهيم المجردة التي يصعب التعبير عنها مباشرة (Kafimosavi 2024). ويُعد هذا الأسلوب من السمات البلاغية البارزة في القرآن الكريم، حيث يؤدي دورًا أساسيًا في ربط الفهم البشري بالظواهر الميتافيزيقية التي تتجاوز إدراك العقل والحواس.

ويميل الإنسان بطبيعته إلى الاعتماد على حاسة البصر، مما يجعل تصوّره للإيمان قائمًا غالبًا على الرؤية والتجسيد. يتجلى هذا الميل في قصة النبي إبراهيم عليه السلام عندما سأل ربّه أن

يريه كيف يحيي الموتى، رغم إيمانه الراسخ. وكذلك في طلب بني إسرائيل من النبي موسى عليه السلام أن يُريهم الله جهرةً، مما يبرز الدور المحوري للرؤية والتصوّر في الفهم والإيمان (Mohamed 2022).

يُعَدّ سيد قطب (1988) من أبرز المفسرين المعاصرين الذين ركزوا على الجمالية الفنية في التفسير، من خلال عمله الموسوعي "في ظلال القرآن". يرى قطب أن التصوير القرآني يحوّل المعاني المجردة إلى صور حية، ومشاهد محسوسة يمكن للقارئ أن "يراها" بخياله. كما يوضح أن هذا التصوير غني بالألوان، والحركة، والإيقاع الموسيقي، مما يحرّك جميع الحواس: من البصر والسمع إلى الخيال والعقل والوجدان (Ismail, Abuzaed, and Mohd 2023).

يُفعّل التصوير الفني خيال المتلقّي عبر تمثيلات لفظية تجسّد الجوانب الظاهرة والخفية للظواهر (Mellal 2024). ويساعد ذلك القارئ في إدراك المعاني الدقيقة التي قد تعجز التحليلات العقلية المجردة عن بلوغها. ويمتاز التصوير اللفظي عن الرؤية البصرية المباشرة ببُعده الجمالي، إذ يتشكّل من كلمات وتراكيب منسجمة تُنتج صورًا ذهنية نابضة. ويتجلّى أثره في مستويين: معرفي وعاطفي؛ فهو يُحرّك الإدراك والمشاعر والاستجابات النفسية في آنٍ واحد (Paudyal 2023) .

ويتميّز التصوير القرآني بخصائص فريدة تجعله متجاوزًا لحدود الشعر وسائر الأجناس الأدبية؛ فهو لا يوقظ الخيال ويُحرّك الوجدان فحسب، بل يدعو أيضًا إلى التأمل والتفكير النقدي. ومن خلال تصوير بصري متقن، يُحفّز المتلقّي على استكشاف أبعاد المعنى، مما يُيسّر بلوغ الحقائق والاستنتاجات العقلية (Franklin 2022;Murtadho, 2024).

وقد تناولت العديد من الدراسات الأكاديمية موضوع التصوير الفني في القرآن الكريم. من أبرزها كتاب "التصوير الفني في القرآن" لسيد قطب (1988)، الذي يؤكد فيه أن النص القرآني زاخر بالصور الفنية المتناغمة مع إيقاع الوحي وبنيته التعبيرية. وناقش الجرجاني في "أسرار البلاغة" (1989) عناصر التصوير البياني كالتشبيه والاستعارة، مبرزًا دورها في ترتيب الآيات وإعجازها. أما عبد السلام أحمد راغب، ففي "وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم" (1991)، فقد صنّف أشكال التصوير مدعّمًا بالأمثلة التطبيقية.

ومن الدراسات ذات الصلة ما أورده أبو الفضل في "خصائص الفن في الدين"، حيث أبرز تكامل الخيال والعاطفة في سورة العاديات لتعزيز الإيمان. كما درس جليل الله فاروقي وآخرون (١٣٩٣هـ) التصوير الذهني في جزء عمّ، مبرزين دوره في نقل المعنى. وركّزت أنسيه خزاعلي وكوثر

بهبهاني زاده (١٣٩٧هـ) على الحركة في قصص الأنبياء، خاصة في سورة هود، باعتبارها بُعدًا تصويريًا بارزًا. واهتمت فاطمة كياني وآخرون بتصوير ناقة صالح عليه السلام، محلّلين أبعادها التربوية والنفسية والاجتماعية في سياق مجتمع ثمود.

ورغم ما أُنجز من بحوث قيّمة، فإن هذه الدراسة تُضيف بعدًا جديدًا عبر تركيزها على التحليل التفصيلي للتصوير الحِجَاجي في سورة القلم، وهو نمط من التصوير يستثمر المعاني الحسية والمشاهد المحسوسة لإثارة التفكير وتعزيز الحُجّة القرآنية. وهذا الجانب لم يحظَ بالاهتمام الكافي في الدراسات السابقة التي غالبًا ما ركزت على الجوانب الجمالية والبلاغية العامة للتصوير. إذ تسعى هذه الدراسة إلى كشف كيفية توظيف التصوير الحِجَاجي كأداة إقناعية ترتبط مباشرة ببناء القناعة الداخلية والتسليم لأوامر الغيب، عبر ربط الصورة بالرسالة المنطقية بطريقة تحفّز التأمل النقدي والتغيير السلوكي. وبذلك، تعمّق الدراسة الفهم المعرفي والنفسي لهذا التصوير، مما يجعل إسهامها متميزًا في إثراء الدراسات القرآنية البلاغية بمنهجية جديدة ومتكاملة.

على سبيل المثال، تشير استعارة "السُّلَّم" و"السّماء" إلى أن بلوغ المقامات الرفيعة لا يتحقق إلا عبر الوسائل المشروعة، وتُستخدم هذه الصورة للرد على منكري النبوة، بإبراز الأنبياء كسُلَّم مشروع إلى الحقيقة الإلهية. وتُمثّل هذه الصورة نمطًا حِجَاجيًا يعكس جانبًا من الإعجاز الفني القرآني (Ṭabrisī 1993).

ترتبط قوة التأثير القرآني باختيار الألفاظ وتركيب الجمل وإيقاعها، مما يُنتج نَسَقًا صوتيًا منسجمًا يُجسّد المعاني. ومن خلال تصويره الحيّ، يدعو القرآن القارئ إلى التأمل في الحياة والمصير، وأسباب النصر أو الهزيمة، بل والمستقبل. ولا يقتصر التصوير على القصص النبوية، بل يشمل الظواهر الطبيعية، كالإبل، والسفن، والسحب، والريح، والليل، والنهار، والإنسان، وكلها تُقدَّم بوصفها "آيات" دالّة على الخالق (Nasaruddin, MAC Murtadho 2025).

ويُعد مفهوم "التصوير الحِجَاجي" منهجًا بحثيًا مبتكرًا، لم ينل حظه الكافي من الدراسة الأكاديمية الصريحة. فالتصوير القرآني لا يقتصر على إثارة العاطفة، بل يُعزّز الوعي العقلي، ويحرّك الإنسان نحو القرارات الرشيدة، وتغيير السلوك، والتضحية في سبيل الحقيقة. وقد سجّل التاريخ تحوّلات روحية كبرى لأشخاص استوعبوا هذا التصوير العميق رغم ما واجهوه من أذى. ومن هذا

المنطلق، تسعى هذه الدراسة إلى كشف مكوّنات التصوير في سورة القلم، وتوسيع البحث في أبعاده الحِجَاجية التي لم تُسلَّط عليها الأضواء الكافية من قبل.

منهجية البحث

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، الذي يجمع بين وصف الظواهر اللغوية والأدبية موضوع البحث، وتحليلها بعمق للكشف عن أبعادها الدلالية والفنية. بعد جمع البيانات ذات الصلة، يتم تحليلها من خلال عرض المحتوى وتفسيره تفسيرًا منهجيًا، ثم استنباط المعاني الكامنة في بنيته النصية والتعبيرية.

تم الحصول على بيانات الدراسة من مصادر مكتبية متنوعة، شملت كتبًا ومخطوطات تراثية وحديثة، إضافة إلى مقالات علمية ورسائل أكاديمية تناولت موضوع التصوير الفني في القرآن الكريم.

اختير هذا المنهج نظرًا لطبيعة الدراسة النوعية التي تعتمد بشكل رئيس على تحليل النصوص الدينية. تبدأ مرحلة التحليل بجمع النصوص ذات الصلة، ثم تصنيفها وفق أنواع التصوير ووظائفه البلاغية والحجاجية، ويُستكمل ذلك بوصف تحليلي دقيق لكل عنصر تصويري في سياق سورة القلم.

في هذا النوع من الدراسات، يُعد الباحث الأداة الأساسية في عملية البحث، حيث تقع على عاتقه مسؤولية التأمل في النص، واستخراج عناصر التصوير، وتصنيفها وتحليلها وفق منظور علمي (Bungin and Moleong 2007).

يركّز البحث على تحليل عناصر التصوير الفني في سورة القلم، مع التأكيد على أن هذه العناصر لا تُستخدم كزخارف لغوية فحسب، بل تُوظف كأدوات بنيوية وجوهرية تسهم في توضيح الرسائل الإلهية وتعزيز أثرها في وعي المتلقّي.

نتائج البحث والمناقشة

التصوير الجدلي في سورة القلم

تُفتَتح سورة القلم بقَسَمٍ يُجلّي مكانة القلم وما يُدوَّن به: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (القلم: ١). ويُبرز هذا القسم الدور الجوهري للقلم باعتباره رمزًا للتوثيق الدقيق والمأمون. وفي سياق هذا القسم، يُطمئن اللهُ نبيَّه محمداً بأنه ليس بمجنون، بل هو على خُلُقٍ عظيم، وموعودٌ بالأجر غير المقطوع. ومن حيث الاشتقاق اللغوي، فإن "القلم" يدل على أداة الكتابة (Al-Iṣfahānī and ibn Muḥammad 1991)، بينما "السطر" يعني خطاً من الكتابة المنتظمة والمحفوظة (المصطفوي، ٢٠٠٨؛ الراغب الأصفهاني، ١٩٩١؛ ابن منظور، ١٩٩٥). وغالباً ما تُستخدم هاتان الكلمتان في القرآن الكريم للدلالة على الأحكام الشرعية الثابتة التي لا تتغير (انظر: الأحزاب: ٦؛ الإسراء: ٥٨).

أما عبارة ﴿مَا يَسْطُرُونَ﴾ في الآية، فتشير إلى ما يُكتب بعناية ونظام، مع الحفاظ على أصالة النص ومصداقيته (Ibn'Āshūr 1964)، مما يُبرز قوة الحفظ والثبوت للمكتوب، كما لو كان وثيقةً رسمية لا يمكن تغييرها أو إنكارها. وهكذا، فإن الاستعارة المتمثلة في القلم والكتابة تُصوّر استحالة تبديل ما كُتِب وثُبِّتَ، وتُجسّد ما للوثائق المكتوبة من مصداقية عالية وقيمة مقدسة في الحياة اليومية.

إنّ التأمل في هذه الآية الافتتاحية يُظهر أن الله سبحانه وتعالى يستخدم استعارة القلم والكتابة ليُصوّر تسجيله المحكم والقاطع للأمور، دافعًا بذلك كلّ شك أو ريبة. ويُماثل هذا مَن يوقّع على وثيقة رسمية، فيلتزم بمضمونها التزامًا لا رجعة فيه. فقد ثبتت أمورٌ عند الله على وجه اليقين، وسُطّرت في كتابٍ محفوظٍ لا يقبل التبديل ولا التغيير.

وبناءً على هذا الأساس، تذكر الآيات من الثانية إلى الرابعة من سورة القلم ثلاث قضايا يقينية إلهية، مستخدمةً ألفاظًا تأكيدية قوية تُشير إلى ثبات مضمون القَسَم واستقراره. ثم تتبع هذه الآيات ببيان وعدٍ للرسول ، أن الحقّ إذا نزل وظهر، فسيعلم الناس من هو الضال ومن هو المهتدي. وقد أكّد الله في الآيات التالية (القلم: ٥-٧) أنه العليم بمن ضلّ عن سبيله، والعليم بمن اهتدى إليه، مما يُظهر كمال علمه، ودقة حكمه، وعدله المطلق.

مفهوم الصورة والتصوير الفني

من الناحية الاشتقاقية، يشير مصطلح "الصورة" إلى عملية إضفاء الشكل والمظهر على شيء ما، ويشمل ذلك أنشطة الرسم والتشكيل (Colman 2021). وفي السياق الأدبي، تدل الصورة على التعابير والكلمات التي يستخدمها الكاتب لصنع أعمالٍ مشحونة بالتخييل الفني، وهي تمثيلات تنبع

من تجارب داخلية عميقة (Hart 2024). ومن ثم، فإن الصورة الأدبية لا تقتصر على الأشكال المتخيلة فحسب، بل تشمل الألفاظ والعبارات والآيات التي يمكن أن تثير في ذهن القارئ إحساسًا حسّيًا حيًّا. وتكمن جوهرية الصورة الأدبية في قدرتها على تجسيد الأحداث والظواهر بصورة واضحة في ذاكرة القارئ وإدراكه (Halim 2024).

وتختلف الصورة الأدبية جوهريًا عن مفهوم الصورة في السياقات البصرية الحديثة كالفيلم والتصوير الفوتوغرافي والسينما، التي تتكون من تآلفات الضوء واللون. في المقابل، تُبنى الصورة الأدبية من خلال توظيف الكلمات والتعابير بأسلوب يُوهم القارئ كأنه يشاهد مشهدًا حيًّا ومتحركًا. وفي التراث الأدبي العربي الكلاسيكي، غالبًا ما يُستخدم مصطلح "التمثيل" بمعنى الصورة أو التشبيه. وقد بيّن الفراهيدي (2003). أن التمثيل في اللغة هو ما يُرى وكأنه مُعايَنٌ رأي العين، وهو مشتق من الجذر (مثل). وكذلك عرّف الفيومي (1993) التمثيل بأنه إظهار الشيء للغير على نحوٍ يُشعره وكأنه يراه في الحقيقة (Murtadho, Yahya, and Nasrullah 2024).

لقد عُرف استعمال الصورة والتصوير في الأدب العربي منذ القرن الثالث الهجري. فعلى سبيل المثال، يرى الجاحظ في كتابه *الحيوان* (١٩٣٨، ص. ١٣١) أن الشعر نوع من التصوير (Husni 2024). ووفقًا لهذا الاتجاه، يعدّ الجرجاني الشعر فنًّا يتّسم بالتمثيل البصري (الجرجاني، ١٩٩٨، ص. ٣٦٥). ولم يكن علماء البلاغة في التراث العربي القديم يفرّقون بصرامة بين التصوير والتمثيل، بل كانوا يعدّونهما جزءًا من الصور الخيالية، وهي تشمل أساليب بلاغية متعددة كالتشبيه، والاستعارة، والمجاز. ويؤكد رضايي أن ما أطلق عليه البلاغيون القدامى مصطلح الصور الخيالية ما هو في حقيقته إلا أشكال من التصوير البصري القوي الذي يثير صورًا ذهنية حيّة في ذهن القارئ.

التصوير الفني في القرآن الكريم

يُعدّ التصوير الفني في القرآن الكريم مزيجًا متناغمًا من اللون، والحركة، والصوت، وغنى الألفاظ، وإيقاع التعابير، مما يُثير حواسًا ومدارك متعددة لدى المتلقي، كالبصر، والسمع، والعاطفة، والخيال، والعقل، والوعي. فالصورة القرآنية ليست مجرّد مفاهيم تجريدية، بل هي صور حيّة تنبض بالحياة، حيث تُجسَّد فيها الأسس والمفاهيم والمعاني بطريقة محسوسة.

وقد أشار سيد قطب في مؤلفاته إلى أن التصوير يُعدّ من أهم الأدوات التحليلية لفهم القرآن الكريم، إذ قال" :إن أسلوب القرآن كله، فيما عدا الآيات التشريعية، قائم على التصوير، وهذا

الأسلوب هو من معجزات القرآن" (Qutb 1988). وعليه، فإن التصوير في القرآن يُمثّل وسيلة بلاغية فعّالة في إيصال الرسالة الإلهية. فمن خلال الصور الحية والخيال البديع، يُجسّد القرآن الكريم المعاني الروحية العميقة، والأحداث، والمشاهد الجميلة، والقيم الإنسانية، وجوهر الطبيعة البشرية بأسلوب محسوس وحيوي. وهكذا، تتحول المعاني الباطنية إلى كائنات متحركة، والحالات النفسية إلى لوحات مرئية، والقصص إلى مشاهد واقعية تُحسّ في ذهن القارئ أو السامع. إن توظيف التصوير بهذا الشكل لا يضيف بعدًا جماليًا للنص القرآني فحسب، بل يُعمّق أيضًا الفهم الروحي والعاطفي للرسائل الإلهية التي يحملها.

عناصر التصوير في سورة القلم

تُعدّ سورة القلم، كغيرها من سور القرآن الكريم، غنيّة بالمعجزات الجليلة والجمال البديع، والذي يتجلّى بشكل رئيس من خلال الفنّ البصري الحيّ أو التصوير الذي يظهر بوضوح في كثير من آياتها. ومن خلال هذه العناصر التصويرية، تُجسّد معاني السورة وموضوعاتها الرئيسة بأجمل وأعمق صورة. ويتناول هذا القسم بعض عناصر التصوير في سورة القلم، بدءًا بـ:

١. التشخيص

يُقصد بالتشخيص في الأدب ويُعرف في اللغة العربية بـ "التشخيص" إضفاء الصفات والسلوكيات والخصائص الإنسانية على الحيوانات أو الجمادات أو المفاهيم المجردة. ويُوصف هذا الأسلوب الأدبي غالبًا بأنه "إحياء الجماد" أو "إعطاء الحياة لما لا حياة له"، لأنه يُظهر الأشياء أو الظواهر التي لا روح فيها وكأنها تمتلك مشاعر وأفعالًا بشرية (Shafiee Kadkani 1996).

في التطبيق، يُصوّر التشخيصُ الجمادات وكأنّ لها وعيًا وشخصية إنسانية. ومن الأمثلة الشائعة لذلك: تصوير السماء أو الزمن أو نسيم الصباح ككائنات قادرة على الحديث أو التفاعل، فتُصبح بمثابة شركاء في الحوار ضمن السياق السردي. إنّ هذه التقنية لا تُغني التعبير الفني فحسب، بل تُعزّز أيضًا التأثير الدرامي والعاطفي للرسالة المنقولة.

وفي سورة القلم، نجد أمثلة قوية ودرامية للتشخيص، تُصوِّر الرسائل الإلهية بشكل بصري وعاطفي مؤثر. ومن أبرز هذه الأمثلة ما ورد في الآية ١٩:

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾

تشير هذه الآية إلى قصة أصحاب الجنة، وهي، وفقًا لتقليد التفسير، تحكي عن جماعة من البستانيين في اليمن خطّطوا سرًّا لأخذ ثمار الجنة في الصباح الباكر دون علم الفقراء أو إذن المالك. لكن، بينما كانوا نائمين، أرسل الله طائفًا – وهم مخلوقات مجنحة – أحرقت الجنة وحوّلتها إلى أرض يباب (الطباطبائي، ١٩٩٦، ج ٦/ ص ١٨٣).

إنّ مصطلح "طائف" يدلّ لغويًا على جماعة أو طائفة، ويفسّره القُرَاعي (٢٠٠٣) على أنه يشير إلى الحشرات أو المخلوقات المجنّحة التي طافت حول البستان لتنفيذ عملية الإهلاك. ومن خلال أسلوب التشخيص، تُصوَّر عقوبة الله وكأنّها كائن واعٍ متحرك ينفذ أوامر إلهية لإحراق البستان وتدميره. ويُبرز هذا التصوير الرسالة بأنّ غضب الله وعقوبته ليسا محصورَين في الوعيد الأخروي، بل قد ينزلان في الدنيا بشكل سريع ومرئي نتيجة لأفعال البشر. وهذا التصوير يمنح الآية قوة بلاغية وتأثيرًا عاطفيًا عميقًا في نفس المتلقّي، سواء كان قارئًا أو مستمعًا.

وعلاوةً على ذلك، يُستخدم التشخيص أيضًا في الآية ٤٣ من السورة، في قوله تعالى:

﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾

في هذه العبارة، نُسبت إلى عضو جسدي، وهو "الأبصار"، صفات إنسانية كالخشوع والتذلل، وهي في الأصل حالات نفسية وعاطفية. فالعين فيزيائيًا لا "تخشع"، لكن الآية تُظهرها وكأنّها تملك شخصية تعبّر بها عن مشاعر الخوف والخضوع. إنّ هذا التشخيص يُصوّر بعمق الحالة النفسية للإنسان، فيُجسّد المعنى العاطفي الكامن في الآية بصورة محسوسة وقابلة للتخيّل لدى القارئ. كما يظهر التشخيص أيضًا في تعبير "أصحاب الفيل"، حيث تُنسَب صفات الإرادة والتنظيم إلى الفيلة، مما يُضفي عليها طابعًا إنسانيًا ويجعلها كائنات تؤدّي دورًا واعيًا ومقصودًا في السرد القرآني.

٢. التشبيه

التشبيه هو من الأساليب البلاغية التي تُعبّر عن المشابهة أو المقارنة بين شيئين على أساس اشتراكهما في صفة أو أكثر. وكما يبيّن شفيعي كدكني، فإنّ التشبيه يُعدّ من الوسائل التصويرية والفنية الأساسية في علم البلاغة، حيث يُرشد الذهن من الأمور الغامضة إلى الأمور المحسوسة. ونظرًا لطبيعته التخييلية والبصرية، يستطيع التشبيه أن يدمج بين عناصر مختلفة، بل ومتناقضة

أحيانًا، ويجمعها في إطار دلالي واحد متماسك، سواء من الناحية الحسية أو العقلية (Ghomi, Zabihi, and Shohani 2024).

وفي سياق التصوير القرآني، يحتلّ التشبيه مكانة بارزة ومهمة؛ إذ يُسهم في إحياء الصور المدهشة والفريدة في آيات القرآن، ويُثير في النفوس مشاعر عميقة واستجابات وجدانية. ومن أبرز أمثلة التشبيه ما ورد في الآية ٢٠ من سورة القلم:

﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾

تصوّر هذه الآية حال الجنة بعد أن أصابها العذاب الإلهي، فتحوّلت إلى حالة من القحط والخراب. وقد وردت تفسيرات متعددة لمعنى كلمة "صريم" في هذا السياق؛ فبعضهم يرى أنها تشير إلى شجرة قُطِفَت ثمارُها وجفّت، والبعض الآخر يفسّرها بأنها أصبحت سوداء مظلمة كظلمة الليل نتيجة للنار التي أحرقت أشجارها. وتشير تفاسير أخرى إلى أنّ الجنة قد تحوّلت إلى صحراء قاحلة ورمال يابسة لا تنبت نباتًا ولا تُثمر خيرًا (الطباطبائي، ١٣٦٦هـ/١٩٨٧م، ج٢٠، ص٥٦).

من الناحية الاشتقاقية، فإنّ لفظ "صريم" مأخوذ من الجذر "صَرَم"، والذي يدلّ على القطع والانفصال. وهذه الدلالة مرتبطة بالليل المظلم، أو الشجرة التي لا تُثمر، أو الرماد الأسود الناتج عن الاحتراق (مكارم الشيرازي، ١٣٨٦هـ/٢٠٠٧م، ج٢٤، ص٣٩٥). ووفقًا لقاسمي (2016)، فإنّ التشبيه الوارد في هذه الآية هو تشبيه كناية، حيث شُبِّهَت حالة الجنة المحروقة والمُدمّرة بظلمة الليل، اعتمادًا على صفة السواد المشتركة بينهما. وهناك من يرى أنّ الجنة شُبِّهَت بالرمل اليابس أو الأرض الجرداء التي لا تُنبت شيئًا، ويكون لفظ "صريم" هو المشبَّه به الذي يعتمد على الإدراك الحسي (Murtadho 2025a).

إنّ غنى كلمة صريم ووجود التشبيه في هذه الآية يخلق صورة حيوية وجذابة للغاية. فإذا فسّرنا صريم بمعنى الظلام أو الليل، فإن الصورة الناتجة هي لجنّة تحوّلت إلى ظلام دامس كالليل نتيجة احتراق أشجارها. أما إذا اختير معنى الرمل اليابس والحصى، فتكون الصورة صورة صحراء قاحلة خالية من أي نبات، تدل على الدمار الكامل.

يُبيّن هذا التشبيه كيف يوظّف القرآن الكريم التشبيه لعرض تصوير معقّد ومتعدّد الأبعاد، مما يمكّن القارئ والمستمع من تجربة المعنى بعمق، سواء على المستوى الحسي أو العاطفي. ومن أمثلة التشبيه الأخرى في سورة القلم مقارنة زوجة أبي لهب بحاملة النار، حيث تصوّر طبيعتها المدمرة وأثرها السلبي بصورة واضحة ومؤثرة.

٣. الاستعارة (المجاز) أو المعنى المجازي

الاستعارة أو المجاز هي استخدام اللفظ في معنى غير معناه الأصلي الحرفي، بشرط وجود علاقة ذات معنى بين المعنيين الحرفي والمجازي، مع وجود قرائن تمنع الفهم الحرفي (المرذخي، ١٣٨٧هـ/٢٠٠٨م: ١١). وفي علم البلاغة، إذا كانت العلاقة بين المعنى الحرفي والمجازي مبنية على روابط مثل الجزء للكل، السبب والنتيجة، المكان والشرط، أو الأداة والنتيجة، فإنها تُسمى مجازاً مرسلاً. ومن الأمثلة الواضحة للمجاز في سورة القلم، في الآية ٦٨/٤٣، التعبير﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾. حيث يوجد إلى جانب التشخيص استخدام المجاز المرسل. فكلمة "أبصارهم" تعني حرفياً جزءًا من الجسم البشري (العينين)، لكن بلاغياً ترمز إلى الإنسان كاملًا الذي يتحلى بالخشوع والخضوع في تلك الحالة. وهذا يوضح علاقة جزء بالكل، حيث يقف الجزء (العينان) للدلالة على الكل (الشخص).

في هذا السياق، لا تعبر "الأبصار الخاشعة" عن رد فعل بصري فقط، بل ترمز إلى الخشوع الكامل والخوف والخضوع أمام عظمة الله تعالى. والفهم العميق لهذه العلاقة البلاغية يزيد من التأثير الفني والروحي في التصوير القرآني. وبالتالي، فإن المجاز في هذه الآية لا يعمل كأداة فنية فقط، بل كوسيلة قوية لخلق تأثير بصري وعاطفي واضح.

وهذا الاستخدام للمجاز المرسل يعكس الغنى التعبيري في القرآن الكريم، الذي ينقل المعاني العميقة من خلال لغة مكثفة ورمزية وجميلة. وبإسناد صفة الخشوع إلى الأبصار، توحي الآية بأن الإنسان بأكمله يغمره الخضوع والندم، مجسدة أجواء يوم القيامة المليئة بالخوف والخضوع.

٤. الاستعارة (الترادف المجازي)

الاستعارة في جوهرها هي شكل من أشكال التشبيه، حيث يُذكر فيها أحد طرفي التشبيه فقط، إما المشبه أو المشبه به. ويمكن النظر إليها أيضاً كنوع من المجاز اللفظي، حيث تقوم العلاقة بين المعنى الحرفي والمعنى المجازي على أساس التشابه. وبخصوص الاستعارة، يشير الإمامِي خليل‌آبادي إلى أن التشابه بين المعنيين الحرفي والمجازي في الاستعارة يكون قويًا للغاية، لدرجة يمكن معها اعتبارهما متطابقين تقريبًا، مما يجعل الاستعارة أكثر خيالًا وبلاغة من التشبيه (الإمامِي خليل‌آبادي، ٢٠٠٩: ١٧٩) تظهر العديد من الأمثلة البصرية الحيّة للاستعارة في سورة القلم، مثل قوله تعالى:

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾

فعبارة "فَطَافَ عَلَيْهَا" تعني حرفيًا "دارت حولها"، ولكن في سياق الآية تعمل كاستعارة تمثيلية، بمعنى أن الله أرسل عقابه على البستان بينما أصحابه نائمون. ويشرح القناوي أن استخدام كلمة "طاف" بدلًا من "أرسل" يؤكد شدة وسعة الدمار الذي غطى البستان كله، وهو أيضًا تعبير عن المبالغة في وصف الحريق وانتشار العقاب (القناوي، ٢٠٠١: ٢٣٣).

في هذا التركيب، يشبه فعل الإرسال (أرسل) بفعل الطواف (طاف)، ولكن يُذكر فيه فقط المشبه به (الطواف)، ويُحذف المشبه (الإرسال). ونظرًا لذكر أحد طرفي الاستعارة فقط، فإن هذا النوع يصنف تحت الاستعارة المصرة، كما يوضح السلمي (2022). ومن خلال هذا الاستخدام المجازي لكلمة "طاف"، يقدم القرآن صورة درامية وشاملة لدمار البستان، فهذه الاستعارة ليست فقط فنية، بل تعمّق أيضًا الرسالة الروحية والتربوية حول عواقب الجشع وإنكار نعم الله. ويُجسِّد الدمار ليس فقط بصريًا بل عاطفيًا أيضًا، مما يثير رد فعل قويًا في القارئ.

٥. الكناية

في علم البلاغة، تُعرَّف الكناية بأنها التعبير عن معنى غير مباشر أو ضمني، دون التصريح به صراحةً. وهذا الأسلوب اللغوي يتطلب حساسية وفهمًا عميقًا للسياق، بالإضافة إلى الإدراك الثقافي والدلالي المرتبط بالتعبيرات المستخدمة. يؤكد راغب (٢٠٢٣) أن الصور البلاغية في القرآن الكريم لا تقتصر دائمًا على كلمة واحدة، بل غالبًا ما تُبنى من خلال التركيب الكلي للآية والترابط الموضوعي بين أجزاء السورة. لذلك، تقدم الكناية في القرآن معنىً متكاملاً بالإضافة إلى صور شعرية ودرامية تثير في ذهن القارئ أو المستمع صورة ذهنية كاملة ومترابطة. ومن أمثلة الكناية قوله تعالى:

﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾

العبارة تعني حرفيًا "سنوسمُه على الخرطوم". فالفعل "وسم" يعني "وضع علامة" أو "ختم"، أما "الخرطوم" فهو خرطوم الحيوان، كالفيل أو الخنزير. ولكن عند الإشارة إلى الإنسان، فإن استخدام "الخرطوم" بدلًا من "الأنف" يشكل إهانة رمزية شديدة. كما يوضح الطباطبائي (٦/١٩٩٧:١٨٣)، فإن هذا التعبير يرمز إلى الذل والمهانة القصوى، لأن الأنف في الثقافة العربية يدل على الشرف والكرامة. لذا، فإن تسمية أنف الإنسان بلفظ يُستخدم عادةً للحيوانات هو نوع من الكناية التي تعني العار الشديد.

من خلال هذه اللغة المجازية، ينقل القرآن أن الكافرين الذين يؤذون النبي محمدًا (صلى الله عليه وسلم) ويعارضون الحق سيتعرضون للعار الاجتماعي الدائم والرفض الأخلاقي. إن "الوسم على الخرطوم" لا يعني العقاب الجسدي فقط، بل يرمز إلى المهانة العلنية والختم الدائم للعار، كما أشار خيمه‌گر. ومن أمثلة الكناية التي تظهر قوة القرآن الخيالية والدرامية في سورة القلم قوله تعالى:

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾

فكلمة "الساق" تعني حرفيًا الجزء من الساق بين الركبة والكاحل، لكنها تُستخدم في كثير من التعبيرات العربية الكلاسيكية كنايةً عن الحالات الحرجة أو الشديدة للغاية. وهنا، فإن عبارة "كشف عن ساق" هي استعارة تصف حالة رعب وألم شديدة، كما يشرح الإلهي قمشئي (١٩٧٠:٥٦٤). تعكس هذه الصورة ذروة المعاناة في يوم القيامة، حين تبلغ الحالة أقصى حدودها ولا مجال للنجاة أو الهروب.

ولا تعبر الكناية في هذه الآية عن ثقل العبء فقط، بل تجسد الصراع الوجودي للمذنبين؛ إذ يُدعون للسجود ولكنهم عاجزون بسبب ثقل ذنوبهم وإنكارهم للحق في الدنيا، مما يحبسهم في حالة من العجز الروحي. هذا يعبر عن عذاب نفسي ووجودي ببلاغة عالية من خلال الكناية. علاوة على ذلك، فإن مفهوم "يوم الدين" في عدة آيات، ومنها سياق سورة القلم، يعد أيضًا صورة كناية. فهو لا يدل فقط على وقت محدد، بل يبني مشهدًا تصوريًا للعدالة الإلهية الحتمية.

الخلاصة

الهدف الأساسي للقرآن الكريم من توصيل رسالته الدينية عبر الأشكال الأدبية هو إيقاظ وعي الإنسان بحقيقة الكون، والآخرة، ووجود الخالق. وفي هذا السياق، تُقدَّم القيم النبيلة المضمنة في الخطاب الإلهي بشكل متناسق ومتوازن، غني بالصور الفنية القوية. ومن خلال تحليل عناصر التصوير الفني في سورة القلم، يتضح أن استخدام التَشْخِيص يدلُّ على فاعلية القرآن في إيصال مبادئه ورسائله الأساسية. فمن خلال التشخيص، تتحول الأفكار المجردة أو الأشياء الجامدة إلى صور إنسانية، فتتكون بذلك تصورات ذهنية حية وجمالية تخاطب القارئ بشكل مؤثر.

ويبرز تأثير التشخيص والخيال في هذه السورة بشكل خاص، إذ إن توظيف هاتين التقنيتين يجعل المفاهيم الملموسة والمجردة، التي يصعب إدراكها بالعقل المجرد، تتحول إلى تمثيلات بصرية مدهشة تصبح أكثر وضوحًا وحضورًا للحواس. بالإضافة إلى ذلك، يعزز وجود التَشْبِيه والاستعارة

البعد البصري للتعاليم القرآنية، إذ يمنحان النص قوة جمالية عالية في ربط المعنى بالصورة، ويسهّلان مستوى فهم أعمق. علاوة على ذلك، فإن الأساليب البلاغية كالكناية والمجاز تساهم في تقوية الرسائل الجوهرية للقرآن من ناحية بلاغية وجمالية. فهذه التقنيات لا تُثري السرد فقط، بل تغني المعاني وترفع من بلاغة اللغة الإلهية.

خلاصة القول، إن جميع عناصر التصوير الفني المستخدمة في سورة القلم تلعب دورًا حيويًا في نقل الرسائل العقدية والأخلاقية للقرآن، سواء كانت ملموسة أو مجردة. ومن بين هذه التقنيات، يتصدر التشبيه باعتباره الأبرز والأكثر تأثيرًا، نظرًا لقدرته على توليد صور قوية، مؤثرة، ومتقنة جماليًا، بالإضافة إلى اتساع مجال تطبيقه ومرونته في النص القرآني.

المراجع

Al-Farāhīdī, Aḥmad. 2003. "Kitāb Al-ʿayn." *Beirut: Dār Wa Maktabah Al-Hilāl*.

Al-Iṣfahānī, Al-Rāghib, and Ḥusayn ibn Muḥammad. 1991. "Mufradāt Alfāẓ Al-Qur'ān." *Beirut: Dār Al-Qalam*.

Bungin, Burhan, and L J A Moleong. 2007. "Jenis Dan Pendekatan Penelitian." *Proses Kerja Kbl Dalam Menjalankan Program Corporate Social Responsibility Di PT. Pelindo* 1.

Colman, Warren. 2021. *Act and Image: The Emergence of Symbolic Imagination*. Routledge.

Fayumi, Ahmad. 1993. "Al-Misbah Al-Munir Fi Gharib Al-Sharh Al-Kabir Le Rafi'i." *Qom, Dar Al-Hijrah Institution*.

Franklin, Eric. 2022. *Dynamic Alignment through Imagery*. Human Kinetics.

Ghomi, Hasan, Rahman Zabihi, and Alireza Shohani. 2024. "Analysis of the Function of Rituals Traditions in the Poetry of Mohammad Reza Shafiei Kadkani." *Journal of Ritual Culture and Literature*.

Halim, Abd. 2024. *The Transformative Power of Literature; Engaging with The World Through Imagination*. Nas Media Pustaka.

Hart, Jonathan Locke. 2024. *Language in Literature*. Taylor & Francis.

Husni, Ronak. 2024. *Abū Al-Qāsim Al-Shābbī's Arab Poetic Imagination: A Critical Evaluation and Translation*. Taylor & Francis.

Ibn'Āshūr, Muḥammad Al-Ṭāhir. 1964. *Tafsīr Al-Taḥrīr Wa-Al-Tanwīr*. Īsā al-Bābī al-Ḥalabī.

Ismail, Mohd Arubi, Wasfy Ashour Abuzaed, and Nadzirah Mohd. 2023. "سيّد قطب ومنهجه في التعامل مع الآيات المتعلقة بالسيرة النبوية: دراسة تحليلية في تفسيره" في ظلال القرآن: Sayyid Quṭb and His Methodology in Dealing with the Verses Related to Prophetic History: An Analytical Study in His Exegesis "Fī Ẓilāl Al-Qur'ān." *Al-Irsyad: Journal of Islamic and Contemporary Issues* 8 (2): 1146–65.

Kafimosavi, Abazar. 2024. "Argumentative Imagery in the Holy Qur'an to Strengthen Faith: A Case Study of the Surahs Al-Tīn, Al-Qalam, and Al-Ṭūr." *Journal of Interdisciplinary Qur'anic Studies*.

Mellal, Imen. 2024. "A Esthetic Story Telling and Writing Strategy: The Case of Saeed Muntaseb and Abdullah Al-Muttaqi." ٤٦–١٣٢ :(٢) ٩ *إفاق للعلوم*.

Mohamed, Entesar. 2022. "Employing Mental Imagery by Qur'anic Verses for Illustrating The Day of Resurrection's Events." *International Journal of Linguistics, Literature and Translation* 5 (6): 61–75.

Murtadho, Muhammad Alfa Choirul. 2025a. "أبعاد الأسلوب اللغوي في السرد القرآني: دراسة أسلوبية لقصص النبي عيسى عليه السلام." *An-Nas* 9 (1): 17–34.

———. 2025b. "تناوب حروف الجر في القرآن الكريم: أنماطه ودلالاته." In *Proceedings of International Conference on Islamic Civilization and Humanities*, 3:106–24.

Murtadho, Muhammad Alfa Choirul, Arbi Maulana Yahya, and Iklil Nasrullah. 2024. "Defining Quranic Beauty in Divine Harmony: A Stylistic Analysis of Al-Asmā'Al-Ḥusnā in Surah Al-Baqarah." *Journal of Arabic Language Studies and Teaching* 4 (2): 17–31.

Paudyal, Homa Nath Sharma. 2023. "The Use of Imagery and Its Significance in Literary Studies." *The Outlook: Journal of English Studies* 14:114–27.

Qasemi, H M. 2016. "Manifestations of the Art of Imagery in the Qur'an." *Sahifeh Mobin* 40:59–75.

Qutb, Sayyid. 1988. "Artistic Imagery in the Qur'an. Transl." *Fouladvand. Tehran: Qur'an Foundation*.

Shafiee Kadkani, Mohammad Reza. 1996. "Images of Imagination in Persian Poetry." *Tehran: Agah, p. ۱۷۰*.

Ṭabrisī, F. 1993. "Majma 'Al-Bayān Fī Tafsīr Al-Qur'Ān." Tehran, Nāṣir Khusru Publications.

Tusi, Muhammad, and Muhammad ibn Hassan. 1989. "Al-Tibyan Fi Tafsir Al-Quran." *Edited by Ahmad Habib Ameli, Beirut: Dar Al-Ehya Al-Tarath Al-Arabi,*.

راغب، عبد السلام احمد (٢٠٠٣ م). وظيفة الصورة الفنتة في القرآن الكريم، حلب : فصل للدراسات والترجمة والنشر. رضايي، عربعلى. (١٣٨٢). تهران، نشر فرهنك معاصر.

سيد قطب. في ظلال القرآن، مصر قاهرة، دار الشروق.

سيد قطب. (١٩٣٩ م). التصوير الفنى، نمايش هنرى در قرآن. ترجمه: محمد على عابدئ، تهران: مركز انقلاب.

فريهدى، خليل بن احمد (١٩٨٢م). العين، تحقيق محمد مخزومى بيروت: دار الرشيد للنشر.

فيروزآبدي، محمد بن يعقوب. (١٨٧٢م). القاموس المحيط، قاهرة: مطبعه بولاق.

اسحاق زاده، روحاهلل؛ صادقيان، حميد و روحانى اصفهانى، الهام.)١٣٩٧(. »مقايسه ارتباطات بصرى در خط نستعليق بين دو شيوه صفوى و معاصر)ميرعماد و اميرخانى(«، نشريه هنرهاى زيبا-هنرهاى تجسمى، ش٢، صص. ٣٥.